الأيام
AL-AYYAM Sunday 13/5/2001 Issue No. 1938 Volume 6

انتفاضة الاقصى والحرب على الارهاب

بقلم: الدكتور هشام فرارجة*

بما أن فظائع الاحتلال الاسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني استمرت تباعاً الى درجة الوصول الى ارتكاب جرائم ضد الانسانية في انتفاضة الاقصى وقبلها، فإنه اصبح مدعاة للتساؤل استخدام الارهاب المنظم اداة لترويع الضحية ولإقران هذه الآفة بها، ومن ثم توجيه الملامة باتجاهها على مقتلها، وبما ان انتفاضة الاقصى جاءت رداً على ممارسات الاحتلال وبطشه وقمعه وعدم اعارته ادنى الاهتمام او الانتباه للانسان وسعيه نحو حياة فضلى، فإنها، اذاً، يمكن اعتبارها تعبيراً صارخاً ضد الارهاب المنظم ومخلفاته، وكون الفلسطينيين ضحايا للارهاب الاسرائيلي طوال اكثر من قرن من الصراع الذي استهدف فيه وجودهم وأرضهم وحضارتهم وكافة حقوقهم، فإنهم الاكثر تحسساً للاستمرار في اعتماد الاسرائيليين على استخدام ادوات الرعب والتنكيل المختلفة كركائز لتدعيم الاحتلال، من ناحية، وللتشهير بضحاياهم الفلسطينيين وتجريدهم من انسانيتهم عن طريق الصاق ظاهرة الارهاب بهم، من ناحية اخرى ورغم كل الجرائم والمجازر التي ارتكبت بحق الفلسطينيين وأرضهم، فإنهم اليوم يتعرضون من قبل محتليهم الاسرائيليين لأعتى حملات التشهير بالارهاب، تشويهاً لمقاومتهم وصمودهم عبر انتفاضة الاقصى، وتعبيراً من المحتل عن افلاسه الميداني والسياسي في قمع هذه الانتفاضة التي تتصاعد كلما امعنت الحكومة الشارونية في فقدان اعصابها، فإنه يلجأ الى اجترار ما كان يعول عليه مسبقا من محاولة جعل الفلسطيني رديفا للارهابي لكي يمهد الطريق امام الرأي العام العالمي لارتكاب المزيد من الجرائم ضد الانسانية والسير في برامجه الهادفة الى القيام بحملات إبادة ضد الشعب الفلسطيني المنتفض المقاوم.

وما دامت انتفاضة الاقصى حرباً للاستقلال ودحراً للاحتلال، فإنها تحركها مجموعة من المثل والقيم الحضارية والانسانية التي تنطلق من الاصرار على التحرر والمساواة والعدالة والتخلص من العبودية والمهانة والخنوع والاستغلال الذي يحاول الاحتلال الاسرائيلي حقنه في الفلسطينيين رغم انفهم، وانتفاضة الاقصى رغم كل ما يحيط بها من مشاهد الالم والنزف والمعاناة والترويع التي يجلبها الاسرائيليون يومياً على الفلسطينيين، فإنها تجسد اسمى ايات التعلق بالامل والحياة والثورة على الاحباط واليأس الذي سعى الاسرائيليون لكي يكون السلاح الفتاك في صفوف الفلسطينيين على مدى عشرات السنين، الى ذلك، فإن انتفاضة الاقصى تمثل اعلاناً حقيقياً بمغادرة الماضي المتسم بهيمنة الجلاد على ضحيته وتطلعاً خلاقاً نحو المستقبل، حتى إن كانت الطريق محفوفة بالمخاطر والاشواك ومرنخة بالوحول.

وهذه المثل الرفيعة التي تتجلى في مختلف محطات النضال الفلسطيني ضد الظلم والاستبداد تبدو الاكثر سطوعاً في انتفاضة الاقصى، خاصة أنها تلت سبع سنوات من الخنق النفسي بسبب عرقلة الاسرائيليين الممنهجة لكافة محاولات التسوية والجهود الرامية الى احلال الاستقرار في المنطقة.

والاحتلال الاسرائيلي الذي لا يتوانى عن استخدام ابشع ادوات القتل بحق المدنيين العزل من الفلسطينيين، اطفالاً كانوا ام طاعنين في السن من الرجال والنساء، يلهث الى خوض المعركة الاعلامية والنفسية المعنوية على مختلف الصعد المحلية والاقليمية والعالمية والعمل على كسبها، ففي الوقت الذي يطلق فيه المحتل لآلته العسكرية العنان ولجيشه الظمآن لسفك دماء الابرياء، تجد ابواقه تعمل ليل نهار لكي تقلب الحق باطلاً والباطل حقا.

وفي هذا المضمار يكرس الاحتلال الاسرائيلي جهوداً ومهارات وإمكانات جبارة من اجل ربح المعركة الاعلامية الرامية الى تبرير جرائمه ومجازره وسطوه على الفلسطيني وأرضه بحجة مكافحة الارهاب، محاولاً ان يعيد الى الذهن صورة الفلسطيني البائدة في الغرب والتي كانت تُعرف الفلسطيني بالارهابي والارهابي بالفلسطيني، والهدف من وراء ذلك كله، بالطبع، قديم جديد، وهو سلخ الفلسطيني عن انسانيته امام الرأي العام الغربي المنشغل بهمومه الحياتيه الخاصة به، واقناعه بضرورة استمراره في تقديم الدعم بمختلف أشكاله للاسرائيليين الذين يتصدرون الدفاع عن حضارة الغرب بأرواحهم، والرأي العام الغربي الذي تحركه خلجات غير تلك المتفاعلة بين طرفي الصراع الرئيسيين لا يسعه ومؤسساته الحكومية منها خاصة الا ان يهب لمساندة الاسرائيليين مباشرة او صرف النظر عنهم اذا ما دعت الضرورة الى ذلك لاعتبار امني هنا او هناك، حيث الفلسطينيون انفسهم هم المسؤولون عن حالة القهر التي يعيشون، ولذلك ومنذ الايام الاولى لانتفاضة الاقصى، عكفت مؤسسات الاعلام والعلاقات العامة الاسرائيلية على بذر انطباعات ذهنية في عقول الغرب بصورة الام الفلسطينية تهمل اطفالها وتدفع بهم نحو الهاوية بارسالهم للمشاركة في مسيرات جماهيرية باتجاه الحواجز الاسرائيلية حيث يقتلون ويجرحون ويعتقلون، وتلك الام المجردة من مشاعر الامومة، كما يريد الاسرائيليون ان يصوروها، غير مبالية بان يتدافع اطفالها نحو الموت.

وصورة الطفل الفلسطيني محمد الدرة الذي قتل بدم بارد وهو يحتمي في حضن والده المستغيث من اجله، التي هزت العالم بأكمله، هي الاخرى وجدت اصداء تبريرية في الاوساط الاسرائيلية المتخصصة التي عملت على تحميل مسؤولية مقتل ذلك الطفل لأي كان، الا جندي الاحتلال الذي استبدل انسانيته بحقنات حقد لا انساني همجي، واغراق قطاع غزة بالمياه العادمة من اجل الاجهاز على الارض الفلسطينية بما عليها وبما تحتها وجد تفسيرات له في محافل صنع القرار الاسرائيلية، حيثما يرتكبونه دائماً اما ان يكون خطأ او بمحض الصدفة، وحملات الترويع في مخيم القطاطوة في خانيونس وفي غيره من اماكن الوجود الفلسطيني على يد الجيش الاسرائيلي اعتبرت مجرد ضرورة امنية، ليس الا. ومناداة حاخامهم الخرف عوفاديا يوسف بمقتل العرب لاقت تأويلات وتلمحيات سياسية بارعة هدفت الى اقناع الآخرين بأنه لم يقصد حرفية ما قال، وقتل الطفلين ملك وشهيد في رام الله في حادث تفجير أصيبت به أمهما لاقى ترحاباً اسرائيلياً كونه رتب من أجل اغتيال أحد المناضلين الفلسطينيين حسن القاضي.

وتمزيق جسد الرضيعة الفلسطينية ايمان حجو في قطاع غزة بقذيفة اسرائيلية اعتبر حادثاً مؤسفاً من قبل شارون، صاحب السمعة الارهابية المرموقة، المخضرم على مدى قرنين من الزمن، يتحمل الفلسطينيون المسؤولية المباشرة عن التسبب به.

وتماماً لأن انتفاضة الاقصى تعتبر مواجهة للارهاب الاسرائيلي المتمادي المحتمي بعباءة الغرب، فإنه يتوقع ان يعكس المحتل ما هو متأصل فيه من سمات سيكولوجية وسلوكية على ضحاياه، وتماماً لأن ارهاب الدولة الاسرائيلي المنظم اصبح شريعة العصر تحت مظلة الدعم الغربي اللامحدود، فإنه من البديهي بمكان ان يجد كل ما يقوم به الاسرائيليون تقريباً من اعمال اجرامية شائنة ضد الفلسطينيين تبريراً ما عند حلفائهم في الغرب، رسميين كانوا ام شعبيين لأن (القرد في عين امه غزال).

---

* دكتور العلوم السياسية في جامعة بيرزيت